

مساهمة الحركة الإصلاحية في الحركة المسرحية الجزائرية

د. مراد مزعاش. المدرسة العليا للأساتذة. قسنطينة.

المسرح العربي في الجزائر :

ترجع بدايات المسرح الجزائري إلى العشرينيات من القرن التاسع عشر ردا على أعمال المستعمر ، خاصة بعد مقدم جورج أبيض إلى الجزائر(1)، ورغم عدم نجاح ما قدمه من مسرحيات إلا أن زيارته كان لها الأثر الكبير ...فبدأت تتأسس الفرق والجمعيات المسرحية الجزائرية على يد باشتارزي وعلالو ورشيد القسنطيني، وجمعية العاصمة والمدينة والشبيبة الإسلامية وغيرها...

وفي هذه المرحلة نشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للدفاع عن الشعب الجزائري والحفاظ عليه في هويته؛ أي الحفاظ على أرضه ودينه ولغته وصون عاداته وتقاليده ...

فكانت منها المساهمات الواضحة في عديد من الميادين من خلال الوسائل المتعددة والأساليب المبتكرة للحفاظ على خصوصية وتمايز المجتمع ، وكان المسرح من أهم الوسائل التي وظفتها الجمعية لنشر مبادئها وتوعية الجماهير بقضاياهم ودفعهم إلى الحفاظ على وحدتهم وإبراز هويتهم المتميزة عن المستعمر ... في ظل استعمار غاشم أطبق على كل شيء .

الجمعية والمسرح الجزائري :

عملت الجمعية على النهوض بالثقافة العربية وخلق الوعي القومي والديني، وتعليم الأجيال، وشكلت نوعا من المقاومة الثقافية والسياسية ضد الاستعمار، وتشكلت

نخبة مثقفة متعلمة وواعية ومستنيرة، عملت على احتضان الجماهير وهيكله الدائرة الثقافية للمجتمع الجزائري.

فكان ثمرة ذلك النمو الثقافي وازدهار اللغة العربية وانجلاء الغبار عنها عودة روح الحياة فيها من جديد لتستأنف مهامها وتواصل رسالتها وتؤدي عملها في مختلف الميادين فافتحمت أغلب المجالات والتي كان منها المسرح العربي حيث أدت دورا بارزا فيه.

هذا النوع من الفن الأدبي عملت فيه يد المبدعين والكتاب من أعضاء جمعية العلماء والمتعاطفين معها حتى أخرجوه إلى المجتمع قويا جليا مؤثرا، وأثروا به الحياة الأدبية والفنية ودفعوا من خلاله الحركة الثقافية الجزائرية إلى التشكل والرقى أكثر، وقدموا بذلك خدمات جليلة للسان العربي، وأحيوا طرائق التعبير وأساليب البيان.. محاولين الرجوع بالعربية إلى سالف عصورها الذهبية، وهذا من خلال النصوص المسرحية المتعددة التي كانت تكتب وتخرج إلى الوجود بين الحين والآخر، ثم تحفظ وتمثل أمام الجماهير المتعطشة، عن طريق فرق محترفة أو هاوية على خشبات المسرح أو في النوادي والمدارس والمراكز الكشفية.

ونحن لا نميل إلى رأي الدكتور محمد مصايف عندما يتحدث عن المسرح بقوله: "أما المسرحية فلم تظهر في الواقع إلا ظهورا باهتا وذلك في الإطار التربوي الأخلاقي الاجتماعي الذي كان يعمل فيه أعضاء الجمعية" (2).

نعم ربما كانت المواضيع التي عالجتها المسرحية يغلب عليها الطابع التربوي الاجتماعي والأخلاقي، لكن ظهورها لم يكن باهتا أو خافتا.. فمع ملاحظة كونه - فن المسرح - نشأ في بيئة استعمارية، وبين طبقات اجتماعية يغلب عليها الجهل والامية، مع قلة الكتاب المتفرسين في هذا الفن إلا أنه يمكن القول: إن ظهوره كان قويا وبارزا خاصة وأن المناسبات المتعددة وبشكل أخص الدينية منها لم تكن تمر دون أن تهيئها الفرق المسرحية بتمثيلات ومسرحيات متعددة في المدارس العربية

الحرّة، وفي النوادي الثقافية ، وفي مقرات الفرق الكشفية المتعددة ... نعم لم تكن هناك ربما فرق مسرحية محترفة، لكن وجود الفرق الهاوية خاصة منها المدرسية والكشفية والجمعية سد ذلك الفراغ الذي تركه غياب الفرق المحترفة، كما أن هذه الفرق مثلت الرافد اللغوي والفني لظهور المسرح والمحافظة على استمراريته ودوامه.

وقد أدت المدارس العربية الحرّة دورا بارزا في ظهور المسرحيات وتمثيلها " فكان كل مدير مدرسة عربية، أو أحد معلمها المستنيرين يكتب مسرحية يمثلها التلاميذ إما بمناسبة انتهاء السنة الدراسية ، وإما بمناسبة أخرى من نوع آخر ، ولكن المناسبة الثانية هي التي ظهرت فيها معظم المسرحيات الدينية" (3).

وهذه المناسبات الاحتفالية كان يحضرها أولياء التلاميذ وغيرهم من عامة الشعب ينبهرون فيها لقدرة أبنائهم على التعبير باللغة العربية الفصحى بكل سهولة ويسر فيتأثرون أيما تأثير.

ويصف لنا ذلك الشيخ محمد الصالح بن عتيق وهو أحد أعضاء جمعية العلماء وأحد معلمها في مدينة برج بوعريّيج فيقول عن أهلها: " وربما دعوتهم للمشاركة في الاحتفالات التي كنا نقيمها بمدرسة القلعة فيشاهدون تلاميذها يمثلون بلسان عربي مبين فيتأثرون بما يشاهدون من مقدرة التلاميذ على الكلام بالعربية الفصحى وبراعة التمثيل" (4).

والحقيقة أن هذه المسرحيات التي كانت تكتب وتمثل في المدارس العربية وفي غيرها من الكثرة " التي لا يمكن أن يحصرها باحث ، لأنها كانت تكتب ثم تمثل ثم تمل وتنس دون أن يحتفظ كتابها بنصوصها لتوهمهم أنها ليست ذات قيمة أدبية ، أو لعوامل أخرى قاهرة ، ونذكر من بعض المقالات التي كتبت وصفا لحفلات عيد المولد أن النصوص المسرحية في الجزائر لو احتفظ بها أصحابها وجمعت لشكلت مجلدا ضخما جدا" (5).

نشاط الجمعية في مجال المسرح:

اهتمت الجمعية بالمسرح أيما اهتمام من خلال التأليف والكتابة ومن خلال الطبع والنشر عبر الصحافة ومن خلال إنشاء وتشجيع الفرق المسرحية المختلفة ، فكان نشاطها دؤوبا في هذا المجال كتابة ونشرا باللغة العربية الفصحى أو باللهجة العامية أحيانا ، " فأخرجوا عدة مسرحيات عالمية مترجمة ووضعوا مسرحيات اجتماعية فكاهية " (6) ، وتربوية وتاريخية ، ونزلوا إلى أعماق الواقع الجزائري مستلهمين منه الموضوعات.

فكان " من المسرحيات التاريخية التي قدمها المسرح العربي في الجزائر رواية (بلال)(7) الشعرية لمحمد العيد " (8) مثلت في عدة مناسبات في أماكن كثيرة خاصة في المدارس والنوادي .

هذه المسرحية التي اعتبرها الدارسون لتاريخ المسرح الجزائري الحديث باللغة العربية كما اعتبرها النقاد " أول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي " (9).

ثم مسرحية (حنبعل) لأحمد توفيق المدني وهي مسرحية تاريخية " رائدة في مجالها و موضوعها ، وفي محتواها في فترة عز فيها هذا اللون من المسرحيات الأدبية المكتوبة بلغة عربية فصحي راقية و جميلة " (10)، وهي الأخرى تم طبعها.

ولم يتم طبع هذين المسرحيتين بل طبعت مسرحيات أخرى لكتاب آخرون عكس ما ذهب إليه الدكتور عبد الله ركيبي الذي يشير إلى أن المسرحيات التي طبعت هي فقط (بلال و حنبعل) (11)، بل وجدنا مسرحيات أخرى طبعت منها، " (المولد النبوي) مسرحية كتبها محمد العابد الجليلي كتبت و طبعت بالجزائر سنة 1949 مثلتها فرقة محي الدين بشارزي " (12)، وكذلك مسرحية " (الناشئة المهاجرة) مسرحية كتبها محمد الصالح رمضان مثلت أول مرة بمدرسة دار الحديث

بتلمسان في نهاية العقد الخامس ، أما طبعها فقد تم بنفس المدينة في سنة 1949 " (13).

كما أن هناك مسرحيات أخرى كتبت ونشرت في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة منها البصائر، وأهم تلك المسرحيات التي نشرت " (مضار الخمر والحشيش) لمحمد العابد الجيلالي وقد ذكر عبد المالك مرتاض أن الأستاذ محمد الصالح رمضان أخبره أنها كتبت قبل الحرب العالمية الثانية " (14)، ومسرحية (شباب اليوم) (15)، ومسرحية (الواجب) (16)، لمحي الدين باشرتارزي، ومسرحية (طارق بن زياد) (17) لمحمد الصالح بن عتيق، ومسرحية (حليمة مرضع النبي) (18) لمحمد الصالح رمضان.

كما برزت مسرحيات أخرى لمؤلفين آخرين منها (امرأة الأب) (19) و (الأمر بأحكام الله) لأحمد بن ذياب (20).

" ثم قام أحمد رضا حوحو سنة 1948 بتأسيس جمعية المزهرة القسنطيني للموسيقى والتمثيل وألف العديد من المسرحيات العربية منها (الصحراء)، (صنيعة البرامكة) أو (هارون الرشيد) سنة 1947 أو أبو الحسن التميمي، والتي بلغت حين استشهاده اثنتي عشر مسرحية " (21).

فمن خلال هذه المسرحيات التي ألفت وطبعت أو تم نشرها في الصحف ثم قيام فرق مسرحية بتمثيلها، ومن خلال ما لم يصل إلينا وهو الكثير الأعم، يتضح لنا الاهتمام المتزايد لرجال الجمعية بالمرح والمسرحية، واعتبارها فنا أدبيا يجب الاهتمام به ورعايته وإحيائه والنهوض به ليؤدي دوره في عملية إيقاظ المجتمع الجزائري وتوعيته وتنويره كما يقوم بتبليغ رسالة الجمعية وتحقيق أهداف الحركة الإصلاحية.

والملاحظ أن ظهور هذه المسرحيات عموما مندرجا تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومقيدا برنامجها الاجتماعي التربوي والأخلاقي، لهذا اعتبرها أبو العيد دودو في حكم أقرب إلى التشدد على أنها من الناحية الفنية لم تكن ناضجة مع

غلبة الحكم والمواظ والعبير التاريخية عليها حين قال: " لم تكن ناضجة فنيا، ولم يكن هذا النضج ممكنا في إطار النظرة القاصرة التي كانت لهؤلاء المؤلفين عن فن المسرح، فهذا الفن لم يكن في نظر هؤلاء إلا لخدمة المجتمع أخلاقيا ودينيا واجتماعيا، وهو ما جعلهم يكثررون في مسرحياتهم من الحكم والمواظ والعبير التاريخية " (22).

لغة مسرح الجمعية:

تؤدي اللغة دورا مهما في تجسيد الأفكار التي يرمي الكاتب إلى ترسيخها، مع مراعاة ثقافة المجتمع وبعثه لهويته وتراثه، والحفاظ على عاداته وتقاليده..

لهذا نشأ المسرح الجزائري في بداياته باحثا عن هوية له، والتي هي في حقيقة الأمر هوية الشعب والمجتمع الجزائري للتمييز عن الآخر الأوروبي الدخيل.

فاستعمل المسرح الجزائري في هذه البدايات " اللغة العامية الثالثة المستلهمة من التراث الشعبي والأشكال المسرحية الماقبلية كلغة (القوال، المدايح، الحلقة) ... " (23)، وهي لغة يفهمها الجمهور ويتفاعل معها لأنها وسط بين الفصحى والعامية يقول علالو: " كنت أكتب باللغة العامية المفهومة من طرف الجميع ولكن ليست بالسوقية الرديئة، فهي لغة عربية ملحونة ومنتقاة " (24).

واستمر الحال على هذه الكيفية ما يقارب العشرين من عمر المسرح، وفيها كانت جمعية العلماء تعمل من خلال مؤسساتها على نشر اللغة العربية الفصحى وتعميم فهمها للناس وتعليمها للأجيال، وتكوين طبقة مثقفة متعلمة ومتنورة.

ومع الوعي العام الذي بدأ يتشكل في المجتمع الجزائري اتجهت جمعية العلماء بالمسرح إلى العربية الفصحى، فقد " انتعش المسرح العربي الفصيح نتيجة الجو الثقافي الذي خلقتة جمعية العلماء المسلمين حيث أنشأت المدارس والنوادي الثقافية والصحف والمجلات ... الأمر الذي ساعد على خلق جمهور عربي مثقف قادر على تذوق المسرحيات الناطقة باللغة العربية " (25)، وهي عودة قوية تطور فيها المسرح الفصيح ونافس المسرح العامي الذي ظل مسيطرا لمدة طويلة من الزمن.

والمرشح الفصحى كان من خلال كتاب مقتدرين متضلعين، يقول أحمد بيوض عن ذلك: " في هذه المرحلة من تطور المسرح الجزائري تعود اللغة العربية الفصحى إلى المسرح لتنافس اللغة العامية التي ظلت تسيطر عليه مدة عشرين عاما، عودة الفصحى كانت على يد كتاب متضلعين في اللغة العربية أمثال: المرحوم أحمد توفيق المدني، أحمد سفتي، عبد الرحمن الجليلي، ومحمد الطاهر فضلاء، وتألفت بصفة خاصة في المسرحيات الدينية والتاريخية وتتميز هذه المرحلة بتنوع في المسرح الاجتماعي والتاريخي والديني وحتى السياسي " (26).

والحقيقة أن توجه الجمعية بالمسرح إلى الفصحى هو توجه نحو الهوية العربية والتدقيق فيها والتأكيد عليها، خاصة وأن الجمعية كانت ترفع شعار (العربية لغتنا) ليمتاز المجتمع الجزائري في لغته وهويته عن المستعمر وثقافته ولغته، وفي كل أمر...، ومحاولة ربط المجتمع الجزائري بالأقطار العربية الأخرى، وربطه أيضا بثقافته العربية الإسلامية الممتدة الجذور في الماضي السحيق.

الموضوعات التي عالجتها مسرحيات الجمعية:

قامت الجمعية برصد مختلف الظواهر في المجتمع الجزائري وتعمقت في دراستها بدقة علمية سبرت فيها أغوار الأحداث وربطت الأسباب بالمسببات، وحددت العلل والأمراض، ومواطن الخلل والانحراف.. ثم حاولت معالجة جسم هذه الأمة والتخلص مما ينخر فيه حتى يعاود استرداد عافيته لينهض من جديد ويستأنف نشاطه ويؤدي دوره بين المجتمعات والأمم، وقد تعددت الظواهر فتعددت معها الموضوعات التي تناولتها الجمعية بالمعالجة والتقويم والتنبيه لمواطن الخلل فيها فكان منها:

1- الموضوعات التاريخية:

التاريخ من الموضوعات التي تناولتها كثير من المسرحيات في ظل الحركة الإصلاحية والتي جاءت كردة فعل طبيعية على ما فعل ويفعل الاستعمار وعملاؤه الذين أعملوا مخططاتهم لتجريد الجزائريين من هويتهم التاريخية وماضيهم التليد،

فأوهومهم أن لا تاريخ ولا ماض لهم إلا تاريخ وماضي فرنسا.. فكانت هذه المسرحيات غوص في أعماق تاريخ الجزائر لتنبه المجتمع وتوقظ فيه ضميره وفكره وعقله وروحه وتعيد له ذاكرته ليرتبط بماضيه ويستلهم منه الأحداث والعبر ، ويتوقف في محطاته المضئية ، ويرتبط بشخصياته الفذة التي كان لها أثرها في صناعة مجد الأجداد في سبيل التحرر والانعقاد ورفض الظلم ودفع الضيم عن الضعفاء والمظلومين ومسلوبي الحقوق .

والملاحظ أن هذه المسرحيات تناولت مختلف الحقب التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري من فترة ما قبل الإسلام إلى الفترة الأمازيغية في ظل الاحتلال الروماني إلى مرحلة دخول الإسلام

وارتبطت الموضوعات التاريخية أكثر ما ارتبطت بشخصيات فاعلة كان لها الدور الرائد والمهم في تاريخ الجزائر وتاريخ الأمة العربية الإسلامية ، " وبخصوص المسرحيات التاريخية فقد قدم رجال المسرح الجزائري العديد من نماذج الشخصيات التاريخية التي كان لها دور فاعل في تاريخ أممها " (27).

والحقيقة أن توظيف التاريخ هو محاولة لإثبات الذات وفي نفس الوقت محاولة لتغيير الواقع واتخاذ الشخصيات المؤثرة فيه نموذجا يحتذى به ويقاس عليه ، فمثل هذه الشخصيات الفذة قد تتكرر ويوجد مثل لها يؤدي دوره في المجتمع اليوم " فتوظيف التاريخ مجالا آخر للتعبير عن الذات بصفة غير مباشرة من جهة ، ودعوة إلى تغيير الواقع من جهة أخرى " (28).

فكان من هذه المسرحيات التي استلهمت التاريخ وشخصيات منه : مسرحية (بلال) لمحمد العيد آل خليفة، هذه المسرحية التي اعتبرها الدارسون لتاريخ المسرح الجزائري الحديث باللغة العربية كما اعتبرها النقاد " أول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي " (29). بل اعتبرها الدكتور أبو العيد دودو " نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري لا لأنها أول عمل شعري متكامل في هذا المجال فحسب وإنما

لأنها عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلى في مضمونها التاريخي إلى جانب الناحية الدينية و التربوية " (30).

وإذا كانت هذه المسرحية نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري عند دودو فإنها ظاهرة ملفتة عند سعد الله باعتبارها المسرحية الوحيدة التي استلهمت التاريخ في قالب شعري إذ بقية المسرحيات التاريخية كلها نثرية ، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: " ولعل أول ظاهرة تلفت نظرنا هي أننا لا نجد سوى مسرحية شعرية تاريخية واحدة هي مسرحية (بلال) للشاعر محمد العيد آل خليفة، والواقع أن بقية المسرحيات التاريخية كانت كلها نثرية عدا مسرحية بلال التي تدور أحداثها في عهد ظهور الإسلام " (31).

وقد جاءت هذه المسرحية في هذه الفترة بالذات لترمز إلى نضال الجزائريين من أجل المحافظة على عقيدتهم الإسلامية و هويتهم العربية وبعدهم القومي اقتداء بالصحابي الجليل بلال بن رباح.

يقول عنها أبو القاسم سعد الله: " وفي الوقت الذي كان فيه الشاعر يقدم بطله على النحو التالي كانت الجزائر كلها تقاوم مغريات شبيهة من اندماج وإلحاق بفرنسا، وقد استعذبت الألم في سبيل المحافظة على شخصيتها القومية حتى انتصرت هي الأخرى في النهاية " (32) .

ويعقب على هذا الكلام أحمد بيوض بقوله: " وعقدتها - كما يرويها سعد الله - هي الاستماتة في سبيل العقيدة ، والبطل انتصر في النهاية، والمسرحية تحمل كثيرا من بذور المأساة في لغتها وأحداثها، وقد اعتقد الشاعر أن بطله يؤدي بذلك عملا قوميا هادفا ، فبلال قاوم جميع المغريات ورضي بالعقاب والإهانة في سبيل عقيدته حتى النصر " (33).

فنعاصر التشابه بين بلال و الجزائر كثيرة ، بداية من المأساة التي عاشها كل واحد والاستماتة والإيمان والصبر والمقاومة ثم الانتصار في النهاية ...

ومن المسرحيات التاريخية أيضا مسرحية (حنبعل) لأحمد توفيق المدني والتي غاصت في فترة تاريخية مشاهة لما تعيشه الجزائر ، وهي الفترة التي كانت فيها الجزائر تحت الاحتلال الروماني، وقد كتب عنها سعد الله يقول: " وفي سنة 1951م أصدر محمد توفيق المدني مسرحية (حنبعل) التاريخية الثرية ، وحنبعل هذا قائد وطني إفريقي ثار على الاستعمار الروماني وانتصر عليه في عدة مواقع وطارده حتى مدينة روما نفسها، ولكن الرومان جددوا الهجوم فلم ير حنبعل بدا من الصلح معهم تحت ضغط رجال السياسة من حاشيته وخيانة بعض أفرادها، وقد تولى حنبعل سلطة البلاد (قرطاج) بنفسه ولكن حين اشتد أمره وأخذ يعمل على تقويض ملك الرومان بإفريقيا، تحرش هؤلاء به وأرادوا به السوء ، فلم يسع حنبعل إلا السفر إلى الشام حيث اشترك مع اليونان في استرداد أثينا التي كان الرومان قد أخذوها، ثم انتقل تحت ضغط الظروف السياسة إلى آسيا الصغرى، وهناك أخذ يعمل من جديد ضد روما بنشاط كبير أثار الرعب في نفس قنصل روما العام في تلك المنطقة وجعله يطالب بتسليم حنبعل باعتباره أحد الرعايا الخارجين على روما، ولكن حين علم حنبعل بعزم السلطات تسليمه إلى روما شرب السم وأنهى حياته بشرف "(34).

و يعقب أحمد بيوض على ذلك بقوله: " هكذا تنتهي المسرحية وهي تعكس استماتة بطل في مكافحة الاستعمار حتى الموت بشرف، كما أنها دعوة للاقتداء بهذا النموذج المثالي في التصدي للاستعمار "(35).

فإن مثل هؤلاء الثائرين قد يظهروا في كل أمة وشعب ، والأمة الجزائرية أحوج ما تكون إليهم وذلك ليس بعزير كما أن الانتصار على العدو المستعمر ممكن الحدوث مرة أخرى مثلما حدث مع حنبعل حتى وإن لم يقع ذلك فإن الموت في ميادين النضال والكفاح شرف لمن حازه.

ولم يتم تناول هذين المسرحيتين فقط في المجال التاريخي بل رأينا مسرحيات أخرى كلها تستلهم التاريخ في صياغة أحداثها وتشكيل شخصياتها، ومحاولة إجراء

إسقاطات على الواقع الجزائري.. فكان منها مسرحية (يوغرطة) لعبد الرحمن ماضوي، ويوغرطة هذا أيضا شخصية تاريخية أفريقية أمازيغية كان لها دورها وأثرها في التاريخ الجزائري القديم. ثم مسرحية (طارق بن زياد) لمحمد الصالح بن عتيق، وهو كذلك شخصية تاريخية أمازيغية إسلامية كان لها دورها خاصة مع جيوش الفتح الإسلامي. ومسرحية (الخنساء) (36) لمحمد الصالح رمضان، وهي الأخرى شخصية تاريخية لكنها نسوية. ومسرحية (عنبسة) لمحمد الصالح رمضان، ومسرحية (صنيعة البرامكة) لرضا حوحو،.. وغيرها من المسرحيات التاريخية...

2- الموضوعات الاجتماعية:

فمثل ما عملت أيادي الاستعمار وعملائه في طمس معالم المجتمع الجزائري التاريخية ومحاولة فصله عن ماضيه، حاولت كذلك طمس المعالم الاجتماعية التي اكتسبها عبر التاريخ. فحاول تفكيك الأواصر الاجتماعية والروابط التي توحدته، وزرع في جسده العلل الفتاكة التي أخذت تنخر جسده فأصبح ضعيفا هزيلا فخارت قواه وأصبح لا يقدر على الوقوف فاستسلم وكاد أن يموت، فجاءت المسرحيات لتنظر في هذا الواقع الاجتماعي وتحاول التنبيه إلى المخاطر المحدقة به مع محاولة معالجة ما يمكن معالجته من ظواهر وآفات اجتماعية فعلت فعلها. وقد تعددت الموضوعات الاجتماعية بتعدد الآفات في المجتمع؛ من آفة الإدمان على المسكرات وشرب للخمر وتعاطي للحشيش خاصة في أوساط الشباب، إلى الآفات الأسرية من صراع بين أفرادها وتفكك الروابط بينهم، إلى بعض المظاهر الأخرى كالجهل والشعوذة والفقر، والبخل أو الشراهة والجشع والطمع، واستغلال النفوذ وسلطة المسؤولية... وموضوعات أخرى تحاور الصراع بين الحق والباطل في جميع الأحوال..

فمسرحية (امرأة الأب) مثلا لأحمد بن ذياب تحاول التطرق إلى بعض ما تعيشه بعض الأسر من صراعات وتفكك وعدم انسجام في ظل نفوس جشعة

ومريضة ، فهي تعرض للصراع بين الزوج الذي أرغم على الزواج مرة ثانية بعد وفاة زوجته الأولى، والزوجة الثانية التي كانت مستهترّة بكل القيم لتحقيق مآربها وأغراضها مما انعكس على استقرار الأسرة بكاملها وانعكس سلبا على الأبناء والبنات على حد سواء ...

والحقيقة أن المسرحية استطاعت أن تصور المرأة الجزائرية في جانبيها الخيري والشرير ضمن أسلوب تربوي هادف، الغرض منه إصلاح بعض الانحراف والاعوجاج في المجتمع.

ومسرحية (رواية الثلاثة) الشعرية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي(37)، الذي كان فيها أكثر جرأة وشجاعة ليكشف بعض العيوب المتصلة بعناصر من الجمعية والتي تناول فيها موضوعا ظاهره البخل وباطنه الصداقة والوفاء في قالب أدبي شائق عالج فيها مجموعة ظواهر اجتماعية منها تلاعب بعض العناصر في الجمعية بمسؤولياتهم واستغلالها لتحقيق مآربهم وأغراضهم الشخصية، كما تطرق إلى موضوع نشاط رجال التعليم ، مع وقفاته التربوية التي تعيب الشراة والجشع.(38)

ومنها أيضا مسرحية (مضار الخمر والحشيش) لمحمد العابد الجليلي والتي تطرق فيها إلى ظاهرة خطيرة تفشّت في المجتمع الجزائري بإيعاز وتشجيع من الاستعمار ، وهي ظاهرة السكر وتناول المسكرات من شرب للخمر وتعاط للحشيش وما ينتج عنه من تأثير سلبي على أفراد المجتمع وما ينتج عنه أيضا من آفات وأمراض وعلل وعواقب وخيمة ...

ومسرحية(الصراع بين الحق والباطل)لعلي مرحوم، وغيرها من المسرحيات الاجتماعية الأخرى والتي عالجت موضوعات وآفات اجتماعية...

فهذه المسرحيات عالجت موضوعات اجتماعية ذات صلة مباشرة ووطيدة بواقع المجتمع وتشكل خطرا عليه، حيث تعددت المسرحيات الاجتماعية بتعدد الموضوعات التي حاولت معالجتها.

3- الموضوعات الدينية:

والجانب الديني من الموضوعات التي لا يقل أهمية عن سابقتها التي قام المسرح بالولوج إليها ومعالجتها وذلك محاولة من "الذين كتبوا في هذا النوع من المسرح- عبر أعمالهم- إذكاء الوعي الديني وبالتالي الوعي بوجودهم كأمة لها تاريخها وخصوصياتها" 39.

على اعتبار أن الدين هو الآخر يمثل جزء مهما من الهوية للمجتمع الجزائري، فوجب ربطه به. أو محاولة لتصحيح بعض الذي علق به من تحريف وتزييف ونزع ما علق به من خرافات وشوائب...

فقدم المسرح في هذا المجال العديد من المسرحيات التي لها علاقة بالدين، مثل مسرحية (الناشئة المهاجرة) لمحمد الصالح رمضان، ومسرحيته (المولد النبوي الشريف)، ومسرحية (المهجرة النبوية) لعبد الرحمن الجيلالي، ومسرحيته (بلال) التاريخية والتي لها علاقة بجوانب دينية كثيرة، بل أساس موضوعها العقيدة الإسلامية.

وقد تخللت هذه المحاور الكبرى - تاريخية، واجتماعية، ودينية - التي تناوَلها المسرح موضوعات مختلفة ومهمة عولجت في ثنايا هذه المحاور، فقد عالجت المشاكل التربوية والأخلاقية والأدبية والسياسية والنفسية... وغيرها من الموضوعات التي يمكن أن يلاحظها القارئ والدارس للمسرحيات التي اشرنا إليها سابقا.

الخلاصة:

إن بصمات جمعية العلماء الجزائريين بادية بقوة في المسرح الجزائري من خلال اهتمامها به عن طريق التأليف وكتابة النصوص، أو عن طريق النشر والتعريف بهذا الفن لكل مبدع قادر على ذلك سواء من أعضاء الجمعية أو من غيرهم، أو عن طريق تشجيع كل المبدعين من فرق وأشخاص يمكن أن يساهموا في دفعه إلى الأمام... وقد استطاعت الجمعية أن ترقى بهذا الفن خاصة من حيث النصوص

والمواضيع ومن حيث اللغة ثم جعلت له قاعدة جماهيرية عريضة تتابعه وتتذوقه وتهتم به وتتفاعل معه . وما زال هذا المنتج يحتاج إلى جمع ودراسة وتصنيف .

هوامش:

- 1- قدم جورج الأبيض إلى الجزائر سنة 1920 وقدم مسرحيتين تاريخيتين هما (صلاح الدين الأيوبي) و (ثارات العرب) .
- 2- محمد مصايف- النثر الجزائري الحديث - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1983م - ص116
- 3- عبد المالك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931/1954- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1983م - ص 199 .
- 4- الشيخ ابن عتيق - أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر - مطبعة دحلب الجزائر - ص97/96 .
- 5- عبد المالك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص200/199 .
- 6- أبو القاسم سعد الله - محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث - دار المعارف - جمهورية مصر العربية - ص25.
- 7- كتبت هذه المسرحية بين سنتي 1947/1948 وعرضت أول مرة بالجزائر العاصمة سنة 1948م
- 8- المرجع السابق-ص25.
- 9- عبد الله ركيبي - تطور النثر الجزائري الحديث 1930/1954 . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1983م - ص220 .
- 10- المرجع نفسه - ص 223 .
- 11- المرجع نفسه - ص221 .
- 12- عبد المالك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص224 .
- 13- المرجع نفسه - ص226 .
- 14- المرجع نفسه - ص201 - حاشية رقم 541 .
- 15- نشرت في الشهاب - الجزء الأول- المجلد 14 - مارس 1938 .
- 16- نشرت في البصائر الثانية - العدد 147 - مارس 1951 .
- 17- نشرت في البصائر الثانية - العدد 24 - فيفري 1948 .

- 18- نشرت في البصائر الثانية - العدد 24 - فيفري 1948 .
- 19- عبد المالك مرتاض- فنون النشر الأدبي في الجزائر - ص202/201 .
- 20- أبو العيد دودو - نشأة المسرح و تطوره - مجلة القبس - العدد 06 ماي 1969 - ص50
- 21- أبو العيد دودو - نشأة المسرح و تطوره - مجلة القبس - العدد 06 ماي 1969 - ص50
- ومسرحيات أحمد رضا حوحو هي : 1- صنيعة البرامكة 2- الصحراء 3- هارون الرشيد 4-
أدباء المظهر 5- الواهم أو الأستاذ 6- البخلاء الثلاثة 7- البخيل أو سي شعبان 8- عنيسة أو ملكة
غرناطة 9- بائعة الورود 10- عاشور والتمدن 11- النائب المحترم 12- أبو الحسن التميمي .
- 22- أبو العيد دودو - نشأة المسرح و تطوره - مجلة القبس - العدد 6 - ماي 1969 - ص 52
- 23- بوعلام مبارك - لغة المسرح الجزائري بين الهوية والغيرية - حوليات التراث - العدد 05
- سنة 2006 .
- 24- أحمد بيوض - المسرح الجزائري 1989/1926 - منشورات التبيين - ص 23.
- 25- أبو العيد دودو - نشأة المسرح و تطوره - ص 50 .
- 26- أحمد بيوض - المسرح الجزائري - ص 68 .
- 27- المرجع نفسه - ص 68 .
- 28- المرجع نفسه - ص 68 .
- 29- عبد الله ركيبي - تطور النشر الجزائري - ص 220 .
- 30- أبو العيد دودو - نشأة المسرح و تطوره - ص 50 .
- 31- أبو القاسم سعد الله - دراسات في الأدب الجزائري الحديث - المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر - الطبعة الثانية - ص 62 .
- 32- المرجع نفسه - ص 63 .
- 33- أحمد بيوض - المسرح الجزائري - ص 69 .
- 34- أبو القاسم سعد الله - دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص 63 .
- 35- أحمد بيوض - المسرح الجزائري - ص 70 .
- 36- مثلت في تلمسان سنة 1950م
- 37- كما أن للبشير الإبراهيمي مسرحية أخرى بعنوان (كاهنة أوراس) وهي من المسرحيات المفقودة
- 38- أنظر عبد الله حمادي- أصوات من الأدب الجزائري الحديث - دار البعث قسنطينة الجزائر
2001 - ص 69/55 .
- 39- أحمد بيوض - المسرح الجزائري - ص 68 .